كيف يساهم ازدياد المفاهيم المتنوعة في التقدم بعلم الآثار نحو الأفضل

عُقدت قمة العُلا العالمية للآثار 2023 في المملكة العربية السعودية بمشاركة خبراء ذوي تخصصات متعددة، بهدف تبادل وجهات النظر حول كيفية قيام نهج مكتمل، شامل وقابل للوصول من خلال إعادة تشكيل علم الآثار - وإعادة صياغة الروايات التاريخية.

أوضح شادريك شيريكور، الأستاذ بجامعة أكسفورد، أن "الماضي مُلك لنا جميعًا"، أثناء جلسة في أول قمة عالمية للآثار في العُلا، "لكن لا نستفيد جميعاً بطريقة متساوية". من الناحية التاريخية، لطالما كان هذا صحيحاً—وبشكل خاص في عالم علم الآثار. بالنسبة الأكبر للتاريخ الأكاديمي في هذا المجال، كان يتمحور علم الآثار في السعي وراء مجموعة فرعية متميزة من السكان—وحتى «التحول الثقافي» في العلوم الاجتماعية الذي حدث خلال السبعينيات والثمانينيات، كان هناك القليل نسبيًا من الاهتمام بتصحيح هذا التوازن. لكن هناك تزايد بشكل طردي من أجل نهج أكثر شمولًا، وخلال قمة العُلا العالمية للآثار الافتتاحية، ردد الخبراء من جميع أنحاء العالم دعوة موحدة للعمل، وهي إنشاء مشهد أثري يعطي الأولوية للمساواة على جميع المستويات - من الشمولية ضمن المجال نفسه إلى إعادة صياغة أكثر إنصافًا وتوازنًا لتفسيرات الاكتشافات الأثرية.

كان هذا الموضوع المتمثل في تعزيز إمكانية الوصول إلى علم الآثار والتراث وشموليته في طليعة القمة - شهادة على الطرق التي يعيد بها العاملون في مجال علم الآثار الحديث التفكير وتوسيع نطاق عملهم وتأثيره ومدى انتشاره.

اليوم، يعمل علماء الآثار في جميع أنحاء العالم على ضمان وصول مجالهم ومخرجاته إلى جمهور أوسع، وضم مجموعة أكبر وأكثر تنوعًا من أصحاب الخبرة في هذه المحادثات حول التراث والتاريخ. وعلى الرغم من التحديات، فإن هذا الضغط لأجل المزيد من الشمولية وإمكانية الوصول في علم الآثار يفسح المجال لحوار أكثر جدوى - وفي المقدمة، إشراك الناس في كل مكان بطرق تمنحهم شعورًا صادقاً بالتراث الذي يحيط بهم، وتمكين المجتمعات من العمل كمشرفين في حماية التاريخ والحفاظ عليه.

إن مزايا المجتمع الأثري الأكثر شمولًا كثيرة ومتعددة. ولعل الأهم من ذلك هو أن هذه الشمولية تلعب دورًا حيويًا في كيفية قيام الناس في جميع أنحاء العالم بإعادة التفكر في التاريخ وصياغته - بطرق تسمح للمجتمعات الحديثة بتعميق روابطها بالتاريخ، وكذلك بالمجتمعات الأخرى في الحاضر.

في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وخاصة في محافظة العُلا، يقدم علماء الآثار وخبراء التراث أمثلة لا تعد ولا تحصى عن كيف يمكن لعلم الآثار أن يجني فوائد نهج أكثر شمولًا يسهل الوصول إليه.

خلال قمة العُلا العالمية للآثار لعام 2023، شارك علماء الآثار وقادة الصناعة والخبراء متعددي التخصصات من جميع أنحاء العالم في العديد من المناقشات والمحادثات المخصصة لمعالجة قضايا الشمولية وإمكانية الوصول في علم الآثار، بما في ذلك تبادل أفضل الممارسات والأفكار من جميع أنحاء العالم.

تمكين وإعلاء أصوات أمناء تراث العلا

إن علماء الآثار، على وجه الخصوص، بارعون بمحاكاة الماضي، وبالطبع يتطلب جزء من تلك المحاكاة، الاعتراف بأنه، على مد التاريخ، كان يُعتبر علم الآثار أنه مسعى نخبوي إلى حد كبير—حيث هيمنت عليه شريحة صغيرة جدًا وغير تمثيلية من السكان (شريحة كانت أيضاً أجنبية). لم تشكل تلك الأيام الأولى علم الآثار كمجال أكاديمي للتخصص سوى القليل لاحترام ملكية المجتمعات والإشراف عليها: غالبًا ما تمت إزالة الاكتشافات الأثرية من أراضيها الأصلية دون موافقة أو معرفة السكان.

لا يمكن التقليل في تقدير الضرر الذي أحدثه هذا النهج السابق: عندما تشعر المجتمعات كما لو أن المواقع التراثية ليست مناسبة لها أو ذات أهمية بالنسبة لها، فإنها لا تهتم كثيرًا بالحفاظ على هذه المواقع أو الإشراف عليها. كما أوضح ريتشارد ويلدينج، المؤسس المشارك لـ Eye on Heritage، أنه "على مدى السنوات العشر الماضية، ثبت مدى أهمية إشراك المجتمعات خارج علم الآثار. في العراق وسوريا، تمكنت الدولة الإسلامية من وضع علم الآثار كمصلحة غربية تقريبًا - أجندة إمبراطورية للمتاحف الغربية. وأعتقد أنه من المهم إشراك المجتمعات ، لجعلهم يشعرون أن هذا هو تراثهم - وأنه ليس شيئًا يتم فرضه من الخارج".

في السنوات الأخيرة، بدأ علماء الآثار في جميع أنحاء العالم بإعطاء الأولوية لمشاركة المجتمع كعنصر حيوي في عملهم. شهدت الدكتورة أميليا منة، عضو هيئة تنظيم المعارض في المتحف الأثري الوطني في نابولي، كيف يمكن للمجتمعات المشاركة في إضافة القيمة إلى الحفاظ على التراث. كما أوضحت، بينما كان السياح والعلماء الدوليون يترددون على المتحف بأعداد كبيرة، أن هناك شيئًا مفقودًا، قائلة: "شعب نابولي—السكان الذين يعيشون بالفعل في المدينة—يعرفون القليل جدًا عن جذورهم الثقافية." كان هناك، في ذلك الوقت، اعتقادًا واسع النطاق بين السكان بأن المتاحف ليست لهم.

ولمواجهة هذا الاعتقاد، شرع الدكتور مينا وبقية فريق المقيمين في المتحف في إيجاد طرق مختلفة لجعل المتحف متاحًا أكثر وبسهولة أكبر وصداه يتردد محليًا - بما في ذلك تنظيم معرض ناجح للغاية عن فريق كرة القدم في نابولي. كما أنفقوا الملايين من اليوروات لجعل معروضاتهم الحالية متاحة بسهولة أكبر، مما يسمح للزوار المكفوفين بلمس التماثيل، واستضافة المهرجانات التي تخاطب المهاجرين، ودعوة الحرفيين لإنتاج قطع مستوحاة من المعارض لبيعها في متجر المتحف.

في مكان قريب، في خليج بايا، تم تدريب الغواصين على العمل كحراس للعديد من مواقع التراث المغمورة بالمياه، والتي سبق أن أخل بها السياح وألحقوا بها أضرارًا. تسمح مثل هذه الخطوات للسكان بالشعور بالملكية تجاه المواقع التاريخية والتحف، مع منحهم دورًا يلعبونه في سرد قصص هذه المواقع.

في بيرو، عمل متحف موقع باتشاكاماك على إشراك السكان من خلال إظهار أن المتحف مكان لا يخصهم فحسب، بل يثري حياتهم، حيث يعمل الموقع مع الحرفيات المحليات لبيع بضاعتهن المصنوعة يدويًا، مما يخلق رابطًا بين الحفاظ على التراث الثقافي والازدهار الاقتصادي الحقيقي لأفراد المجتمع. كما يوضح مدير المتحف الدكتور دينيس بوتزي إسكوت، "إذا لم نتواصل مع المجتمع حول الموقع، فلا يمكننا فعل أي شيء."

في العُلا نفسها، هناك عدد لا يحصى من الأمثلة على كيفية إشراك المجتمعات في المواقع والأنشطة الأثرية في الموقع. كثيرًا ما تتم دعوة الطلاب لحضور رحلات ميدانية إلى مواقع التراث مثل الحِجر ووادان وجبل عكمة. يتم استضافة ورش عمل للتوعية العامة مع أعضاء المجتمع التي تغطي مجموعة متنوعة من الموضوعات—من علم الخزف والنقوش إلى علم الآثار والأنثروبولوجيا. من خلال تدريب أفراد المجتمع على الحرف والمهارات المرتبطة بالمواقع التراثية في العُلا، يقوم الخبراء بإنشاء مسارات وفرص جديدة لهذه المجتمعات للحصول على فوائد اقتصادية من خلال المشاركة الإيجابية في التراث. يوفر هذا النوع من النهج للمجتمعات حوافز قوية للاستثمار في الحفاظ على هذه المواقع التراثية—وكذلك الحفاظ على التقاليد المرتبطة بهذه المواقع.

ولكن ربما يمكن رؤية أحد أفضل الأمثلة على كيفية إشراك خبراء العُلا في المجتمعات من خلال أعمالهم الأثرية في بلدة العُلا القديمة. هنا، يجمع علماء الآثار والمؤرخون بين علم الآثار التقليدي والحفظ مع مجموعة من التواريخ الشفوية لسكان البلدة القديمة السابقين. تضيف هذه القصص والحكايات لونًا وعمقًا مذهلين إلى الاستكشافات والحفريات في الموقع، مع تزويد أفراد المجتمع في الوقت نفسه بإحساس قوي بالملكية في الحفاظ على بلدة العُلا القديمة وترميمها. يعمل خبراء تنظيم المعارض الآن على الحفاظ على هذا التراث غير المادي بطرق تسمح للزوار بالتفاعل معه.

سكان وقصص البلدة القديمة: يجري حاليًا تنفيذ مشروع لإنشاء مجلس للحياة والذاكرة ('المجلس' يعني 'غرفة استقبال الجلوس' باللغة العربية، وغالبًا ما يشير إلى مساحة مشتركة في المنزل حيث يتم الترحيب بالضيوف وإقامة الفعاليات الترفيهية) في البلدة القديمة – متحف حي يربط القصص والتاريخ الشخصي والمجتمعي بالعناصر الملموسة للمحافظة والحفاظ عليها. بشكل ملحوظ، تم تصميم هذه المساحة مع الزوار في قلبها: تهدف العديد من عناصر المتحف على وجه التحديد إلى تشجيع أفراد المجتمع على التواصل مع تاريخهم وتراثهم. هذه العدسة ثورية خاصة في عالم تميل فيه معظم المتاحف إلى التأطير حول تجربة الجمهور الدولي.

يعد هذا المزيج من عناصر التراث المادي وغير المادي تطورًا مهمًا في عالم علم الآثار الحديث، من ناحية فهم كيفية تداخل التراث الثقافي غير المادي مع البقايا المادية التقليدية من الماضي بما يسمح بالحفاظ على التاريخ بشكل مفهوم أكثر، بجميع جوانبه المتنوعة.

يعمل علماء الآثار في العلا أيضًا على إشراك أفراد المجتمع ليكونوا رواة قصص في مواقع التراث في جميع أنحاء المنطقة. يتلقى هؤلاء الرواة تدريبًا متعمقًا وتعليمًا حول تاريخ وتراث المواقع الأثرية في العُلا، بما في ذلك دعوتهم للمشاركة بعمق في العمل الأثري الذي يتم القيام به في هذه المواقع، قبل الذهاب للعمل كمرشدين سياحيين ذوي معرفة عالية. ومن خلال خطوات كهذه، يكون أفراد المجتمع هم أولياء وأوصياء على تراثهم الخاص، الأمر الذي يعطي أهمية أكبر للروايات التاريخية لهذه المواقع، والمنطقة على نطاق أوسع.

نظرًا لأن علماء الآثار يشركون المزيد من المجتمعات وأصحاب المصلحة في عملهم، فإنهم يعملون أيضًا على جلب الأفراد من خلفيات ثقافية واجتماعية واقتصادية أكثر تنوعًا إلى المجال نفسه - مما يعزز جيلًا جديدًا من علماء الآثار الذين يساعدون في إعادة تشكيل علم الآثار وإعادة صياغة التراث

إنشاء مجتمع أثري أكثر شمولًا

موضوع الشمولية في علم الآثار متشابك بعمق مع مهمة إنهاء الاستعمار، فمن أجل خلق مجال أكثر تنوعًا، يجب على الخبراء وقادة الصناعة التعامل مع حقيقة ذلك. لقرون، كان علم الآثار يقوده في المقام الأول القيم، الأولويات، الروايات، والمصالح الغربية. وبكل تأكيد، وعلى مر الزمن، هناك أمثلة واسعة من الشعوب في جميع أنحاء العالم والمجتمعات التي لعبت دورها في المحافظة على التراث؛ ومع ذلك، ضمن الممارسة الأكاديمية السائدة في علم الآثار، كان هناك تاريخ طويل من التغاضي عن هذه الجهود الأصيلة. فيعني إنهاء استعمار المجال الأثري وضع القيم ، والأولويات، والروايات، والاهتمامات، والخبرات في طليعة المحادثة—خاصة في سياق الأوساط الأكاديمية.

في أستراليا، على سبيل المثال، يشارك علماء الآثار الآن في الأبحاث التي يقودها السكان الأصليون. وفقًا للدكتورة تريسي أيرلندا، أستاذة التراث الثقافي في جامعة كانبرا، "هذا هو الوقت الذي يذهب فيه علماء الآثار إلى المجتمع ويقولون، "ما الذي تريدنا أن نبحث عنه؟ ما هي أسئلتك حول الماضي والتي تعتبر مهمة لمجتمعك للمضي قدمًا؟" هذا النوع من النهج يعطي فرصًا لخلق مساحة لوجهات نظر أكثر أصالة وتنوعًا.

التعليم، بالطبع، ضروري لهذه العملية - ليس فقط في تربية أجيال جديدة من علماء الآثار، ولكن أيضًا في خلق ثقافة شاملة من الاحترام والحماس للماضي، مما يساعد على ضمان حماية المواقع التراثية والحفاظ عليها.

تتطلب رعاية الاهتمام والخبرة في علم الآثار ترقية وتعزيز المناهج الأثرية على المستوى الوطني. في حديثها أثناء قمة العُلا العالمية للآثار، أوضحت مؤسِّسة شركة استشارات خدمات التراث الثقافي البحثي في ناميبيا، الدكتورة ألما ميكوندجو نانكيلا، أن "الكثير من البلدان الأفريقية تفتقر إلى علم الآثار على المستوى الشعبي، بما في ذلك في المدارس الابتدائية

والثانوية". لمعالجة هذه المشكلة، يعمل العديد من الخبراء مع الحكومات في جميع أنحاء العالم للدعوة إلى التمويل وتوفير الموارد اللازمة لتطوير وتنفيذ مناهج تعليمية جديدة.

على مستوى التعليم العالي، يتم أيضًا إعادة النظر في برامج ومناهج علم الآثار على مستوى العالم. خلال القمة، اقترح الدكتور أحمد منصور، مدير مركز الكتابة والنصوص بمكتبة الإسكندرية في مصر، أن تكون دراسة الآثار أكثر مرونة، لجعلها في متناول الأشخاص غير القادرين على تحمل التكاليف الباهظة والدراسة الطويلة التي تنطوي عليها برامج الآثار التقليدية. واقترح إنشاء 'دبلومات قصيرة الأجل'، والتي يمكن أن تساعد في جذب الأفراد من خلفيات ثقافية واجتماعية واقتصادية أكثر تنوعًا إلى الميدان.

الإرشاد، أيضًا، هو جانب مهم من دراسة الآثار، وفقًا للهيئة الملكية لأبحاث التراث الثقافي في العُلا، الدكتور بول كريستيانز: "أعتقد أنه من واجب المهنيين ذوي الخبرات المتوسطة والكبيرة أخذ ذلك على محمل من الجد. فعندما أنظر إلى الوراء، أرى نفسي محظوظًا بشكل لا يصدق لوجود مرشدين أو ثلاثة". بدلًا من التعامل مع الإرشاد كمسعى سلبي أو افتراض أن الخبرة تتدفق إذا كان الطلاب يشاهدون ويتعلمون ببساطة، يدرك علماء الآثار بشكل متزايد أن الإرشاد يحتاج إلى ممارسة عملية، ونشطة، وتكافلية داخل وخارج الصف الدراسي.

يتطلب علم الآثار الحديث أيضًا، وبشكل متزايد، من الممارسين امتلاك مجموعة مهارات أكثر تنوعًا، وأصبح التعليم متعدد التخصصات وبناء المهارات من الجوانب المهمة لتحديث المناهج الأثرية. خلال جلسة تبادل المعرفة في قمة العُلا العالمية للآثار، سلط المتمرسون الميدانيون وأساتذة الجامعات الضوء على مجموعة متنوعة من المهارات التي أصبحت ذات أهمية متزايدة. كما أوضح أحد المشاركين، أن "المهارات الرقمية لها أهمية قصوى، فهناك الكثير من المعلومات التي تأتي من اتجاهات مختلفة، ويجب أن يكون الناس قادرين على تحليلها". وأضاف المشارك نفسه أنه من المهم أيضًا أن "تقرأ بقدر ما تستطيع خارج مجالك؛ فعلينا جميعًا أن نتمتع بالقدرة على أن نكون متعددي التخصصات". بينما أعرب طلاب علم الآثار الحاليون المشاركون في هذه المناقشة عن مخاوفهم بشأن إيجاد فرص عمل ذات مغزى، وأعرب أولئك الناشطون الذين يعملون في هذا المجال عن ثقة أكبر بكثير في فرص العمل الحالية والمستقبلية المتاحة لعلماء الآثار الشباب.

ولا تخطئ: لا يوجد نقص في الطلب على علماء الآثار المؤهلين، خاصة في أماكن مثل المملكة العربية السعودية، حيث، وفقًا للرئيس التنفيذي لهيئة التراث في المملكة، الدكتور جاسر الهربش، لم يتم توثيق حوالي 80 في المئة من المواقع الأثرية في البلاد. وأشار الدكتور الهربش إلى أن ارتفاع الطلب على الموظفين المؤهلين على جميع المستويات—من العمليات إلى التنظيم، إلى الدعم على مستوى الحوكمة - إلى دفع البلاد لإعطاء الأولوية لتدريب علماء الآثار السعوديين.

حتى في البلدان التي يتم فيها التنقيب عن معظم مواقع التراث الأثري وتوثيقها جيدًا، تتطلب التحديات التي تطرحها قضايا مثل التحضر وتغير المناخ، إدارة مستمرة، والتخفيف من المخاطر، وصيانة المواقع التراثية في جميع أنحاء العالم—وهو ما يترجم إلى الاستدامة، من خلال توفير فرص وظيفية طويلة الأجل للعاملين في هذا المجال. مع استمرار توسع عمل علم الآثار التقليدي—بدمج المزيد من التخصصات المتعددة المشاركة وزيادة التركيز على وجهات النظر والتراث غير المادي—حتى بالنسبة للمواقع الأكثر توثيقًا، فيتم إعادة النظر فيها من خلال رؤية جديدة.

على عكس المجالات والأنشطة الأكاديمية الأخرى، يميل العمل الفعلي لعلم الآثار إلى أن يكون أكثر تطلبًا من الناحية البدنية. يمكن أن يكون هذا عائقًا لأولئك الذين يعانون من إعاقات جسدية، والذين قد يعانون من الطبيعة الصعبة للعمل الأثري، والذي غالبًا ما يتضمن ساعات شاقة وظروف جوية قاسية. لكن التقدم التكنولوجي، مثل استخدام أدوات الرقمنة، يمكن أن يعزز ظروف عمل علماء الآثار، مما يسمح لمزيد من الأفراد بالمشاركة في هذا المجال.

وعلى نفس المنوال، يمكن أن يكون علم الآثار أيضًا مهنة مرهقة عقليًا وعاطفيًا - خاصة عند العمل حول المواقع ذات الطبيعة المؤلمة. يمكن أن يكون للكشف عن بقايا التاريخ القاسي أو المأساوي تأثير كبير على الصحة العقلية لعلماء الآثار. حتى العمل مع الآثار الحساسة والهشة يمكن أن يكون مصدر قلق كبير. اقترح المشاركون في قمة العُلا العالمية للآثار أن خلق مساحة للحوار المفتوح حول هذه القضايا يمكن أن يساعد في تخفيف الضغط النفسي والعاطفي للوظيفة.

بسبب الحقائق الفريدة الموجودة على أرض الواقع والمتعلقة بتلك الوظيفة، تتطلب أنه من الضروري لطلاب علم الآثار الحصول على كل من الفصول الدراسية والتعليم على أرض الواقع. في العُلا، يضمن الخبراء باستمرار أن يوفر كل موسم أثري لطلاب علم الآثار فرصًا لتلقي التدريب العملي، على سبيل المثال، خلال الموسم الميداني الثالث في مشروع دادان الأثري، انضم ثلاثة طلاب سعوديين من جامعة الملك سعود إلى الفريق وتلقوا تدريبًا شاملًا في كل من العمل الميداني والعمل المخبري، كما أنشأت الهيئة الملكية للعُلا برنامجًا للمنح الدراسية يهدف إلى تزويد الطلاب المتفوقين بفرص للدراسة في جامعات مرموقة حول العالم. تغطي هذه المنح الدراسية مجموعة واسعة من المجالات، من علم الآثار والتاريخ إلى السياحة والضيافة—وكلها تكمّل الجهود الشاملة التي يتم بذلها في جميع أنحاء المنطقة للحفاظ على التراث. حتى الآن، تلقى 54 باحثًا تمويلًا من الهيئة الملكية للعُلا من أجل دراسة علم الآثار والمجالات الأخرى ذات الصلة.

تعزيز إمكانية الوصول إلى الاكتشافات الأثرية: التحديات والحلول

إن جلب الأصوات الجديدة الأكثر تنوعًا في المجال الأثري له تأثيرات إيجابية للغاية على الرؤى والاكتشافات التي يتم إجراؤها. عندما يصبح علم الآثار أكثر شمولًا، فإنه يسمح للخبراء في هذا المجال باكتساب وجهات نظر جديدة ثرية حول الماضي—في كل مكان، يقوم علماء الآثار والمؤرخون باكتشافات جديدة مستنيرة ويعيدون تقييم الافتراضات السابقة حول الماضي. لكن فتح الأبواب لعلم الآثار يتطلب إتاحة البيانات الأثرية بسهولة أكبر وعلى نطاق واسع—ويمكن أن تشكل هذه العملية العديد من التحديات كما الفرص. في العصر الحديث، أصبح من السهل، أكثر من أي وقت مضى، إضفاء الطابع الديمقراطي على الوصول إلى البيانات، وذلك بفضل التطورات الكبيرة في التقنية. ولكن من خلال إنشاء قنوات مفتوحة لنشر هذه البيانات، يخاطر علماء الآثار أيضًا بوضع هذه البيانات في أيدي الأشخاص ذوي النوايا الخبيثة، مثل أولئك الذين يمكن أن يقوموا بنهب أو إتلاف المواقع التي تتم دراستها.

قدم مدير مكتب اليونسكو في الدوحة لمنطقة دول الخليج واليمن، صلاح خالد، مثالًا يوضح كيف أن الوصول المفتوح إلى البيانات—خاصة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي—قد خلق فرصًا جديدة للاتجار غير المشروع بالسلع الثقافية المحمية. خلال القمة، تحدث عن الأشياء التي شهدها في الكاميرون والتي تباع بشكل غير قانوني في أوروبا من خلال أسواق وسائل التواصل الاجتماعي—مما يسمح للبائعين والتجار بعدم الكشف عن هويتهم. كما نقل قصة عن كيفية استخدام المجرمين لبياناته الخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، قائلًا: "بعد شهر واحد من تعييني [في اليونسكو]، تلقينا إشعارًا بنشاط تهريب غير قانوني من مصلحة الجمارك. بعد أسبوع، تلقيت مكالمات من جميع أنحاء أوروبا للتحقق مما إذا كان التوقيع على شهادة أصالة للأقنعة والتماثيل التاريخية هو في الواقع لي. أخذ [المجرمون] صورتي من مؤتمر وأضافوا توقيعًا. وكان ذلك منتشرًا على لينكدين، فيسبوك، وتويتر، واستمر لمدة عامين. جنى الناس الملايين باستخدام صورتي الخاصة".

هذه هي دائمًا المخاطر المرتبطة بجعل البيانات والمعلومات متاحة بسهولة للجماهير، حيث يمكن استخدامها سواء للنوايا الشائنة أو الخيرة. ولكن وفقًا لآن أوستن، أستاذ مساعد في جامعة ميسوري، سانت لويس، هناك فوائد لجعل الوصول للبيانات الأثرية يفوق المخاطر المحتملة، قائلًا: "إذا لم نجعل بياناتنا قابلة للعثور عليها، يمكن الوصول إليها، قابلة للتشغيل المتبادل، وقابلة لإعادة الاستخدام، نحن لا نجعلها شيئًا يمكن للآخرين النظر إليه، ويمكنهم التشكيك في تفسيراتنا—يمكنهم القول، "هل هذا حقًا التمثيل الحقيقي لما تم التنقيب عنه؟" قدم أوستن أيضًا مثالًا على كيفية

قيام الخبراء بمحاذاة الخط الفاصل بين إمكانية الوصول والحفظ، وذلك من خلال إصدار بيانات موقع شاملة تقوم باستبعاد أو تشويش المواقع الفعلية، حيث يمكن للأطراف الأخرى الوصول إلى هذه البيانات ودراستها دون جعل هذه المواقع أكثر عرضة لمخاطر النهب.

الاستفادة من التقنية لزيادة المشاركة في مجال علم الآثار

تلعب التقنية دورًا مهمًا في جعل البيانات الأثرية في متناول جمهور أوسع من الخبراء، كما إنها تلعب أيضًا دورًا رئيسيًا في كيفية ترجمة علم الآثار بشكل مفهوم إلى الجماهير—مما يسمح للمجتمعات بالوصول إلى محتوى من الآثار يكون أكثر قابلية للاستيعاب. في حديثه خلال قمة العُلا العالمية للآثار لعام 2023، سلط ريتشارد وايلدينج الضوء على مشروع ساعد في التغلب على "الانفصال بين التراث القديم لبلاد ما بين النهرين وسكان سوريا والعراق المعاصرين" عبر وسائل التواصل الاجتماعي. من خلال ترجمة الأدب المتعلق ببلاد ما بين النهرين القديم إلى اللغة العربية ومشاركته عبر فيسبوك، تمكن أكثر من خمسة ملايين شخص في العراق وسوريا من الانخراط في الأساطير القديمة التي تعود لعوالمهم.

وفقًا للدكتور تشيس إف روبنسون، مدير متحف سميثسونيان الوطني للفن الآسيوي في واشنطن العاصمة، فإن وسائل التواصل الاجتماعي لها تأثير ملحوظ وملموس على التركيبة السكانية لجمهور المتحف. قال روبنسون: "لا شك في أنه يمكننا رؤية ذلك في الملف التعريفي لأولئك الذين يحضرون فعاليات المتحف: إنهم أصغر سنًا، وقد سمعوا عن الحدث ليس بحكم الإعلانات المدفوعة التقليدية، ولكن لأنهم كانوا يتابعون مؤثرًا".

ومع ذلك، فإن طبيعة وسائل التواصل الاجتماعي تعتمد في كثير من الأحيان على أجزاء من المحتوى قابلة للاستيعاب وذات حجم صغير-مما يؤدي إلى المبالغة في تبسيط المعلومات المعقدة ومتعددة الأوجه. وأوضح روبنسون، قائلًا: "نحن نشعر بالقلق حيال القدرة على إيصال الفروق الدقيقة – لسرد القصص التي نريدها حقًا، وإشراك الناس بجدية في وسط لا يتسم بالمرونة ويعتمد على لفت النظر للغاية". "على الرغم من أن وسائل التواصل الاجتماعي تجذب الانتباه، إلا أنها ليست جوهرية، وليست مدروسة. نحن بحاجة إلى التفكير في وسائل التواصل الاجتماعي على أنها جزء واحد فقط من مشهد أوسع من المنصات التي يمكننا من خلالها جعل المحتوى الخاص بنا متاحًا".

ووسائل التواصل الاجتماعي هي إحدى الأدوات التقنية العديدة التي يستفيد منها علماء الآثار في العصر الحديث من أجل إضافة تفاصيل أكثر دقة، وصدى، وإمكانية الوصول إلى المواقع والمخرجات التراثية. تحدث منتج الوسائط المتعددة سبارش أهوجا عن كيف ساعد الواقع الافتراضي في ربط المجتمعات في الهند والباكستان بتراثهم: من خلال مشروع يسمح للذين قد نجوا من تقسيم الهند وباكستان بالقيام بجولات افتراضية في منازل أجدادهم، وقد أوضح أهوجا أنه "لم تكن تجربة عاطفية للغاية للناجين فحسب، بل سمحت للجيل الأصغر بالتواصل فعلياً مع تلك القصة، ووضع مكان على خريطة تراثهم الخاص". الذكاء الاصطناعي هو أداة أخرى يتم تسخيرها من قبل علماء الآثار الحديثين؛ ولكن كما أوضح البروفيسور دومينيك بويزلاند، مدير مركز أبحاث المناظر الطبيعية في يوركشاير، فإن مخرجات التقنية مثل الذكاء الاصطناعي جيدة فقط مثل البيانات التي يتم وضعها: "إذا كانت لديك أسئلة وبيانات عالية الجودة، فيجب أن تكون قادرًا على استخدام الذكاء الاصطناعي للحصول على نتائج عالية الجودة."

في العُلا، يقوم عالم الآثار بعمل مبتكر عندما يتعلق الأمر بالاستفادة من التقنية لإضافة عمق جديد إلى النتائج التي توصلوا إليها. على سبيل المثال، تعاون علماء الآثار مع خبراء رقميين ومتخصصين في الطب الشرعي ومؤرخين وأحزاب متنوعة أخرى من أجل بث حياة جديدة في أحد أبرز اكتشافاتهم: قبر هينة، وهي امرأة نبطية عاشت في الحِجر منذ ما

يقرب من 2000 عام. من بقايا الهيكل العظمي التي تم العثور عليها في القبر، تمكن هؤلاء الخبراء من إعادة بناء شبيهة رقمية لهينة. من هذه الصورة الرقمية، ابتكر الخبراء بعد ذلك نموذجًا واقعيًا لوجه هينة—والآن، باستخدام قوة الذكاء الاصطناعي، يعمل خبراء التراث في العُلا على خلق فرص للجمهور للمشاركة في محادثة مع هينة. وبالمثل—على الرغم من اتباع منهجية أقل تفصيلًا—تعاون علماء الآثار العاملون في دادان مع خبراء متنوعين لإنشاء تشابه رقمي للملك اللحياني ظالمي، بناءً على تمثال تم استرداده من الموقع.

في النهاية، تخدم كل هذه الأدوات والتقنيات الحديثة نفس الغرض الأساسي، وهو ترجمة عمل علماء الآثار إلى روايات مقنعة. يقع هذا التركيز على سرد القصص في صميم القضية الأوسع المتعلقة بإمكانية الوصول. ومن خلال إعادة تركيز الروايات التاريخية وتوطينها، يتمكن علماء الآثار من التفاعل بشكل أفضل مع المجتمعات ؛ عبر إنشاء مجتمع أثري أكثر شمولًا، مع وصول أوسع إلى البيانات الأثرية. إن وجهات النظر الأكثر تنوعًا قادرة على إعادة التفكير في هذه الوقائع المنظورة؛ ومن خلال إعادة التفكير في دراسة الآثار، يمكن لهذا المجال الاستفادة من مراجعات أكثر شمولًا—وأكثر دقة—للروايات التاريخية التقليدية. "البشر مرتبطون بالقصص"، أوضحت شيلا راسل، راوية القصص والرئيس التنفيذي لشركة ساندز إن تايم. "نحن بحاجة إلى جذبهم وربطهم فعليًا بهذا العنصر البشري". في عالم علم الآثار الحديث، يعد هذا التركيز على سرد القصص أحد مفاتيح مجال أكثر سهولة وشمولًا. عندما يشعر أفراد المجتمع وعلماء الآثار المستقبليون والجمهور العالمي وأصحاب المصلحة الآخرون بالارتباط بآثار الماضي من خلال روايات ذات مغزى ولها تأثير ثقافي، فمن المرجح أن يستثمروا في الحفاظ على هذا التاريخ واستمراريته—والذي يلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على هذا التراث للمستقبل.